أتخن مطرب فى البلد

محمد قنديل

لما توفى محمد قنديل بعد صراع مع مرض الاكتئاب الذى أصابه بعد وفاة الزوجة عام ١٩٩٣، والسكر بعد الحزن الشديد على فراقها والقلب الذى استعان بنا لعلاجه على حساب الدولة، ثم الكسر فى الساق الذى قطع أبونيه من أجله لمستشفى الأنجلو أمريكان فى القاهرة، لما توفى حزنت عليه كصديق مقرب، وأصدقاؤه طوال حياته يعدون على اليد الواحدة.

وزعلت على مصير البغبغان أعز أصدقاء قنديل والذى كان يصبحه ويمسيه بعبارة رقيقة، صباح الخير ياجدو قنديل، مساء الخير.. يا بابا محمد.. صلى على النبى.. السلام عليكم!!

وعلى عدد من لعب الأطفال والعرائس التى كان يعتبرها عالمه عندما يخلو لنفسه..

وعلى ٣٠آلة عود من أجود الصناعة المحلية، والتى تمت صناعتها على يد خبير وبإشراف قنديل نفسه، ومن أغلى الخامات.

أما الغناء، فقد توقف عنه منذ فترة، وكنت أسمع منه عبارة ثابتة.. جيت فى الوقت الضائع يا حمادة.. يقصد أن أصبح صوته فورمة ليست مثل التى كانت طوال تاريخه الفنى.

كان قنديل لا يحب التعامل مع الصحافة وأجهزة الإعلام بصفة عامة، فقد بدأت علاقتى به قبل عشرين سنة تقريبا كنت مستشاره الصحفى والتليفزيونى والإذاعى.. حتى عندما تم تكريمه من جانب مهرجان الموسيقى العربية، ومهرجان القاهرة الغنائى، أحال إدارتهما إلىّ لكى أمدها بالمعلومات التى يطلبونها فى مثل هذه الحالات.

وكم من أحاديث نشـرت فى صحفنا ومجلاتنا تمت من خلال وسـاطتى وكم من مذيعة فى الراديو طلبت منى التوسط لديه. وكثيرا ما فشلت وقليلا مانجحت.

كان يكره الكلام. بقدر حبه للغناء. ولا ينسى أن كلامه للصحف كان سببا فى مقاطعة الموسـيقار محمـد عبد الوهاب له فلـم يدعمه بألحانه الجماهيرية، وقد تسـبب حديث صحفـى فى هـذه المقاطعة. وفى اتخاذ موقف معاد له مـن جانب الصحافة. والصحفيين أصدقاء الموسيقار الكبير.

ثـم إن الفـن الأصيل لا يمكـن أن يجرى وراء أجهزة الإعلام. وعلـى أجهزة الصحافة والإعـلام أن تجرى هـى وراء الجيد. وأنا بعيد فعلا عن الإعـلام. وأحب دائما أن يكون مايكتبـه عنى الصحفيـون والنقاد صادقا. فالفـن الحقيقى لا يعتمد علـى كومبينه يبقى الحصان العربى الأصيل الجاهز موجود.. وبعدين يجى حمار يسبقه لأنه عامل كومبينه؟.. لازم يشدوا الحصان من السباق ويخلوا الحمار يخش.

اللى أقل منى فى الدراسة والأداء والإحساس.. هو لايقول إلا (الماجير) و (المانير). لكن أنا أقول الماجير والمانير والشرقى أيضا!

الكلام مازال على لسـان محمد قنديل: أم كلثوم. كانت دائما تمدح فى صوتى.. يقولوا لهـا: الناس كلها بتحب تسـمع أم كلثوم وأم كلثوم بتحب تسـمع مـين؟.. ترد: محمد قنديل.. علما أن كل المطربين أصحابها.

ومازال الكلام على جهاز التسـجيل الخاص بى: عبـد الوهاب كان بيعمل قعدات فى بيته وكان بيتنطط عشان جملة غنائية بقولها ولازم أعيدها ٣٠مرة.. ولاد الحرام وقعوا بينى وبينه.. هاجمته مرة عشـان كده لم يلحن لى.. بل حاول يشـدنى.. كنت اتكلمت بصراحة مع بعض الصحفيين قلت عبد الوهاب كان بالنسـبة لى حياتى ومدرسـتى ولم أسمع مطربا إلا هو. فلما درست اكتشفت أنه ينقل جملا موسيقية من غيره، قارنت لصحفى بين لحن معروف له فى أحد الأفلام ولحن آخر له وهو (على إيه بتلومنى) وقلت إن سـيد درويش لم يفعـل ذلك.. ولم يكن كلامى للصحفى من أجل النشـر.. لكنه نشـر.. واتضح لى أننى مش قد عبد الوهاب.. فالكاتب والشـاعر كامل الشناوى.. علق على كلامى تحت عنوان.. شـجرة الجميـز تحركت!!.. مع أنه قـال فى حديث إذاعى لـه إن محمد قنديل أحب الأصوات إليه.. أنا ماكنتش واخد بالى لكننى كنت شابا وكنت أتصور أننى سوف أكون ندا

لعبدالوهاب أو غيره. ومن ناحية أخرى فقد حدث ذلك فى الخمسينات من القرن الماضى. وكان عبد الوهاب مازال يغنى.. وليس من المعقول أن يلحن لى ويفيدنى بخبراته لأصبح منافسا له.. وقد فعل ذلك مع صوت عبد الحليم حافظ. وبالفعل أثرت شعبية عبد الحليم فى عبد الوهاب وأعتقد أن عبد الوهاب لم يكن يتصور أن عبد الحليم سوف يحقق كل هذا النجاح، ويواصل مسيرة الغناء لينافسه.. لكن من هو محمد قنديل ما هو أصله وفصله؟

اسمه قنديل محمد حسن ولد فى حى شبرا يوم ١١ مارس ١٩٢٩. والده من هواة العزف على آلة القانون، وتربية العصافير والكناريا والببغاوات والواد طالع لأبيه.. كان يضع رأسه وهو فى عمر السادسة على أوتار القانون وأذنيه مع صوت البلابل..

وكبر الولد.. وكبرت هوايته معاه: يقول لى (ماقدرش ما أشوفش بغبغان بيتكلم.. يكلمنى زى البنى آدمين، الناس مش فاهمة لغة الطيور. أنا بقى فاهمها.. أعلم البغبغان عندما يرانى كل صباح يقول لى صباح الخير.. الله أكبر.. صلى على النبى.. أحن عليه وأضع فى منقاره قطعة التفاح وحبة السودانى.. وأنزل إلى الأسواق لأشترى التفاح والسودانى بنفسى. ولما أعود من السفر يزغرد زى الفتيات. أقترب منه أمسك رجله.. ولو فعل ذلك غيرى يكون مصيره جرحا كبيرا.. ثم إننى كنت فى فترة من عمرى أهوى تربية الحمام الزاجل.

وقنديل أصله من السويس، جدته كانت مطربة شهيرة اسمها الحاجة سيدة السويسية، بدأت الغناء فى السويس ثم انتقلت إلى بورسعيد كانت تغنى فى المقاهى على شاطئ البحر وقناة السويس. وتعاقدت على الغناء بعد ذلك فى مقاهى ميدان العتبة بالقاهرة وكانت منطقة علية القوم،كانت تشارك (التخت) بالعزف على الرق، وهى مخبئة يدها تحت الملاية، وعلى وجهها البرقع لزوم الاحتشام، أما مسارح الرقص فكانت ممنوعة عندها تماما فهى تكره الرقص والغناء الخفيف أى غناء الطقاطيق وعشق أدوار سى عبده الحامولى، ومحمد عثمان.

زوجها هو الحاج حسن بيرم وكان عوادا فى تختها وشقيقها سيد هو الذى درب صوتها أما ابنها فهو محمد حسن الشويسى والد قنديل وكان يعزف على آلة القانون فى تخت فتحية أحمد. أما ابنتها سكينة فقد تزوجت محمد عمر عازف العود.

فـــى منزله بحى المنـــيرة بالقاهرة كان محمد عمر يقيم حفلة مســـاء كل ثلاثاء يحضرها نجـــوم الغناء محمد عبد الوهاب وزكريـــا أحمد وصالح عبد الحى ومصطفى بك رضا وكان رئيسا لمعهد الموسيقى الشرقى، ومسئولا فى الإذاعة المصرية.

كان قنديـــل قد علم نفســـه العزف على آلـــة العود، وحفظ الأغنيات الشـــهيرة لمحمد عبدالوهـــاب وليلى مراد وأسمهان، وكان يغنيها أمـــام ضيوف زوج عمته من كبار النجوم الذين يتمايلون طربا لصوته ويستعيدون غناءه.

كانت أغنيات عبده الحامولى هى الزاد والزواد لأسرة الحاجة سيدة السويسية. والحامولى هو النجم الأعظم لها ولأبنائها وأحفادها. وأولهم عبد اللطيف بن محمد عمر، المولود عام ١٩٢٠ والـــذى شـــارك بالغناء فـــى حفل تأبين عبـــده الحامولى عام ١٩٣٥ على مســـرح حديقة الأزبكية لكنه توفى فى عز الصبا.. وعمره لم يتجاوز التاســـعة عشـــرة أثناء عملية جراحية.

نصـــح مصطفـــى بك رضا والد قنديل وزوج عمته أن يلحقا الولد بمعهد موســـيقى افتتح حديثا فى شارع حسن الأنور بعابدين، افتتحه الملحن إبراهيم شفيق باسم (معهد الاتحاد الموســـيقى). انضم إليه قنديل وانضمت إليه التلميذة شـــافية أحمد صاحبة الصوت القوى والاسم الرنان فى عالم الغناء فيما بعد..

المعهـــد كان مـــزارا لكبار النجوم منهم أم كلثوم. ففى عـــام ١٩٤٢ كانت أم كلثوم تصور فيلمها الثالث وهو (عايدة) الذى تقوم فيه بدور عايدة الفتاة القروية ابنة الرجل الفقير الذى يعمـــل فـــى أرض زراعية يملكها أحد الأثرياء، وقع ابن هـــذا الثرى فى حب القروية التى تحلم أن تصبح مطربة، وقبل ذلك فهى تعمل فى الحقل وتجنى القطن مع الصبية، وتغنى لهم استعراض (القطن).

ذهبت إلى معهد إبراهيم شـــفيق بحثا عن أصوات تغنى معها تابلوه (القطن)قدما إليها أصحـــاب الأصـــوات الجميلة تلاميذ المعهـــد، اقتربت منهم وأشـــارت إلى بعضهم ليقدموا الصفوف. فقد وقع اختيارها عليهم ليغنوا فى جمع القطن.

فى الاســـتوديو.. قسمت التلاميذ إلى فئات،استوقفها صوت صبى وهو يغنى واحدة من أغانيها..

قالت له: أحد المقطع الذى كنت تغنيه. فأجاد. قالت: ما اسمك. كان قنديل... قالت قنديل إيه؟ قنديل محمد حسن.. فداعبته قائلة: ولماذا قنديل قبل محمد حلمى محمد قبل قنديل وبلاش حسن.

وبسرعة أصبح محمد قنديل مطرب الإذاعة والسينما.

ومن نجوم الغناء الذين زاروا معهد الاتحاد العربى للموسيقى، محمد عبد الوهاب، كما استمع إلى الصبى قنديل محمد فى بيت زوج عمته محمد عمر، استمع إليه وهو طالب فى بداية سن الشباب فى المعهد، يومها ربت على كتفه وطلب من صاحب المعهد ومديره، أن يرعاه موسيقيا وقاله (خلى بالك من ده..ولد كويس.. وله مستقبل).

وضيف آخر من ضيوف صالون محمد عمر وهو مصطفى بك رضا بعد أن تابع قنديل فى المعهد الذى نصحه بالالتحاق به، وتأكد من نضج صوته وقدرته الفائقة فى العزف على العود حتى إن المعهد طلب منه تدريس الآلة لزملائه. اتفق مع الملحن والموزع الموسيقى على فراج. وكان واحدا من أساتذة المعهد، ومن المتحمسين لصوت قنديل. طلب منه أن يعد له لحنا لتقديمه فى الإذاعة من خلال برنامج كان مخصصا لأصحاب الأصوات الجديدة.

وقف محمد قنديل أمام ميكرفون الإذاعة ليسجل أول أغانيه عام ١٩٤٦.

أما الأغنية فمطلعها (ياميت لطافة ياتمر حنة.. ورقة وخفافة ياذوق وفتنة.. يا ريحة حلوة من الجنة.. ياميت لطافة ياتمر حنة).

وكان على فراج أستاذ محمد قنديل فى المعهد وملحن أغنيتيه الأولى والثانية أما الثانية فكانت دويتو عن الفل غنته معه زميلته فى معهد إبراهيم شفيق للموسيقى المطربة الضريرة شافية أحمد.

وبعد شهور قليلة من اعتماده مطربا إذاعيا، أسند إليه الملحن محمود الشريف أداء أغنية لفيلم سينمائى لم تظهر صورته فيه.. وتكرر نفس الموقف فى عام ١٩٤٩ عندما غنى استعراض (ياحارة العيش والملح) بطولة سعد عبد الوهاب الذى شارك فى غناء الاستعراض.

ومع أن محمد قنديل قد أصبح اسما لامعا فى الغناء خاصة بعد عام ١٩٤٨ إلا إنه قبل أن يغنى فى السينما بدون أن تظهر صورته. حدث ذلك فى فيلم (البطل) عام ١٩٥٠بطولة

شـادية حيث غنى بصوته بمصاحبة صورة الممثل زكى الغنيمى، وفى فيلم (ارحم دموعى) بطولة فاتن حمامة ويحى شاهين.. غنى بدون صورته أيضا.

كان كمال الطويل قد تخرج فى المعهد العالى للموسـيقى المسـرحية وعين مشرفا موسيقيا بالإذاعة ويبحث عن فرصة لتقديم ألحانه إليها بعد أن غنت له كل من فايدة كامل وشادية دعائـين دينيين مـن تأليف والده محمود زكى الطويل. فلما اسـتمع إلى أغنية (تمر حنة) دويتـو (الفـل) أعجب بصوت قنديل واتفق معه على أن يلحـن الأول ٣ أغانى للثانى من تأليف الثالث وهو الشاعر الكونستابل محمد على أحمد، صديق قنديل، وشريكه فى هواية تربية الحمام الزاجل.

أولى الأغنيـات الثلاث كانت (يـا رايحين الغورية.. هاتوا لحبيبـى هدية) عام ١٩٤٨، والثانية (بين شطين وميه، عشقتكم عينيه، ياغاليين عليه.. ياأهل إسكندرية) عام ١٩٤٩.

زادت شـهرة قنديل وأصبح نجما مطلوبا فى مصر والعالم العربى، كثرت رحلاته للغناء فى فلسطين، وسوريا، ولبنان، وتونس.

فى واحدة من سـفرياته.. عاد ليفاجأ بأن كمال الطويل أسـند غناء الأغنية الثالثة إلى المطرب الجديد عبدالحليم حافظ. والأغنية هى (على قد الشـوق اللى فى عيونى ياجميل سلم).

ثم اكتشف أيضا أن الطويل أعاد تسجيل أغنيته (يارايحين الغورية) بصوت عبد الحليم لشـركة بيضافون للأسـطوانات بوازع مـن صاحبها محمد عبد الوهـاب، فكانت القطيعة بينهما.

واكتفى الطويل بلحنين مؤثرين فى تاريخ قنديل الغنائى، واكتفى قنديل بنفس اللحنين من نبع صاحب الألحان الجميلة كمال الطويل.

وفى الخمسينيات من القرن العشرين تردد قنديل على أستوديوهات السينما، لكن ليس بالقـدر الذى ارتبط بها زملاء جيله من المطربين،فلم يكن له نفس الرغبة.ولا كان يرى من قدراته، فن التمثيل.

صور أغنيته الشهيرة (مالى بيه الواد الخاين) فى فيلم (ابن الذوات) بطولة إسماعيل يس ونجاح سـلام عام ١٩٥٣. والأغنية من ألحان الموزع الموسـيقى على فراج الذى سجلها بعد ذلك للإذاعة بصوت سعاد مكاوى.

وقام بالبطولة المطلقة أمام المطربة حورية حسن فى فيلم بعنوان (البطل) عام ١٩٥٥ وظهر مع سامية جمال وشكرى سرحان فى فيلم (ذنوبة) عام ١٩٥٦. وأشركه المخرج عاطف سالم فى فيلم (صراع فى النيل) مع عمر الشريف ورشدى أباظة وهند رستم عام ١٩٥٦. وفى فيلم شاطئ الأسرار مع ماجدة وعمر الشريف عام١٩٥٨. لكنه قال لى: إنه لم يكن مهتما بالسينما. وقد غنى فيها كثيرا من (المواويل) ومعظم أغانيه فيها كان يسجلها من باب المجاملة ولا ينتظر تصويرها.

هذا لايمنعه من أن يصبح مطرب الحب والوطنية فى بلادنا.

يمكن أن نكشف بسهولة عن مدى تأثير العلم والثقافة والتجارب فى الصوت الغنائى. فصوت محمد عبد الوهاب اكتسب الشياكة والرشاقة من اطلاعه على الحياة المتحضرة التى أتاحها له أمير الشعراء أحمد شوقى. وصوت عبد الحليم حافظ اكسبته الدراسة الموسيقية والعزف ولعزف آلة الأوبوا أبرز ملامحه العصرية. وكذلك أصوات عفاف راضى ونادية مصطفى.

وهناك أصوات غنائية بنت بيئتها مثل صوت المطربين الشعبيين أمثال محمد طه. فاطمة عيد، شعبان عبد الرحيم وغيرهم.

وصوت محمد قنديل من فصيلة خاصة فهو ابن بيئته التى عشقت الغناء المصرى الجاد الذى تزعمه عبده الحامولى وتتلمذ على يديه كل من غنى من أفراد أسرة محمد قنديل ابتداء من جدته حتى ابن عمته الذى مات فى ريعان الصبا، وحتى وهو مشروع مطرب من جيل الثمانينيات وينتمى إلى الفرع الثانى من أسرة جدود قنديل، إلى جده حسن بيرم، لكن العمل فى ميكانيكا السيارات قد أخذه من الغناء خاصة أنه لم يلق التشجيع اللازم خاصة من خاله محمد قنديل الذى خشى عليه من الموج العالى فى بحر الحياة الغنائية.

ارتبط صوت قنديل بملحنين بعينهم، فبعد أن قُطعت علاقته بألحان كمال الطويل ومن قبله بأستاذه على فراج الذى لم يكن التلحين من أولى اهتماماته. ارتبط بألحان الموسيقار محمود الشريف الذى لحن له أغنية (تلات سلامات ياواحشنى تلات تيام) من تأليف مرسى جميل عزيز. ثم بألحان أحمد صدقى الذى لحن له (سماح) عام ١٩٥٠ من تأليف محمد حلاوة. ثم بالموسيقار الممثل عبد العظيم عبد الحق الذى لحن له أغنيات منها (سحب رمشه وسد الباب جميل الأهداب) وهى من تأليف عبد الفتاح مصطفى ثم الموسيقار

أحمد عبد القادر. ومن الحالات له (حمدان وابنه) ثم مع الموسيقار عبد العظيم محمد الذى تعاون معه فى عدد كبير من الأغنيات ومنها (ماسى بارمى على حيلى وعلى راسى) ثم كاتب هذه السطور الذى لحن له ١٤ دعاء دينيا واغنية عاطفيه هى «الف هلا» واغنية «مدينة الإسراء» وبعض المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية.

ولحن له محمد فوزى ٣ اغنيات أشهرها (ياللى قوامك عجب) تأليف عبد المنعم السباعى ولحن له رؤوف ذهنى (ياللى معايا ومش ويايا) ولحن له أحمد فؤاد حسن (أحلى بلد بلدى) ولحن له جمال سلامة (رمضان رمضان.. والله بعودة يا رمضان) تأليف عبد الوهاب محمد ولحن له عزت الجاهلى (إن جيتنا يا جميل.. على عينا جنتك) ولحن له الموسيقار محمد الموجى (يامهون) ولحن له بليغ حمدى (شباكين ع النيل) تأليف عبد الرحمن الأبنودى ولحن له الموسيقار (رياض السنباطى) (أتحداك بأن يهواك قلبى) من شعر فتحى سعيد و (دعاؤنا قسم) شعر فاروق شوشة.

وأغانى قنديل الناجحة كثيرة منها يا قلبى هون- قرب حبيبى- مركب حبيبى- أحلف لك- بالماضى- آه يانجف- يا نايمين- موعود- غزال شارد- ولد بلدى- الله عليك ياحب- رمش الغزال يانا- أبو سمرة السكرة- يادى العجب- أنا فى الزعبوط والدفية- قولولى أعمل إيه- وياه- يامعداوى- يس وبهية- مين أنا- إن شاء الله ما أعدمك.

كما شارك فى البرامج الإذاعية بأكثر من ١٥(أوبريت) منها (السوق) وأوبرت (سوق بلدنا) وهى مشاركة قليلة إذا وضعنا فى الاعتبار أن الإذاعة قد أكثرت فى فترة من تاريخها من إنتاج هذا اللون الدرامى الجميل.

لكن قنديل لم يكن يميل للدراما وللتمثيل،فقد عرض عليه د. عبد القادر حاتم عندما كان وزيرا للثقافة والإعلام بطولة أوبريت (حمدان وبهانة) واعتذر له لحاجة الدور إلى إمكانيات تزيد على الصوت الغنائى إلى الحركة والتمثيل، كذلك عرض عليه صديقه الملحن أحمد صدقى بطولة أوبريت من الأوبريتات المسرحية التى أبدع فيها صدقى كملحن، ورفض قنديل بحجة كثرة أسفاره إلى خارج مصر.

وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فترجم قنديل أحداثها: الإنجازات والوقائع إلى أغنيات يمكن اعتبارها ديوان الحياة المصرية بعيد الثورة.

بلغت الأغنية المصرية فى عهد ثورة يوليو قمة النضج، والقدرة على التأثير، اتخذت مركزا

متميـزا فـى تاريخ الغناء المصرى والعربى، ثارت مع الثـوار، وتحركت فى كل اتجاه وكان ديوان الحياة بعد أن كان الشعر ديوان العرب، عايشت الحكم، وكانت صادقة فى النقل عنه والتعبير عن رد فعله، ابتسمت، وأشرقت وأسرفت فى ذلك أحيانا ثم انكسرت مع النكسة، ووقفت فى الخندق مع الصامدين فى مرحلة الصمود والتصدى المعروفة بحرب الاستنزاف.

وفـى المفهوم العام، أن عبد الحليم حافظ هـو مطرب الثورة، بأغنياته الناجحة المؤثرة. والتى جمع بها الجمهور العربى العريض الذى كان، مازال، يلتف حول أغانيه، واستحق بما قدمه، أن ينال اهتمام رجال الثورة.

والأغانى التى قدمها عبدالحليم لاتحسب بعددها إنما بقوة تأثيرها لقيمة كلماتها ولحنها وشـعبية المطرب نفسـه، أما العدد فيتفوق فيه محمد قنديل على عبد الحليم الذى لم يبلغ عدد أغانيه الوطنية طيلة حياته ٥٢أغنية أما قنديل فقد قدم أكثر من ١٢٠أغنية.

وكثـير من أغنيات قنديـل الوطنية كان تأثيرها لايقل عن تأثـير أغنيات عبد الحليم، وبعضها فرض نفسه على تاريخ الغناء بل وعلى تاريخ ثورة يوليو أيضا.

فأول أغنية أذاعها الراديو المصرى بعد ثورة يوليو، كانت إخبارية تعلن عن قيام الثورة، كتبها حسـين طنطاوى، ولحنها أحمد صدقى وتقول ع الدوار.. ع الدوار.. راديو بلدنا فيه أخبـار.. ياللـى فى جاعة ياللى ف خص.. جوم دى السـاعة ثمانية ونص والراديو عمال بـيرص.. فـى الأخبار جلبك يتهنى.. كنا فى نار وبجينا فى جنة.. واللى ظلمنا بجى فى النار.. ع الدوار.. ع الدوار.

ولما سألت قنديل عن قيمة هذه الأغنية فى نظره قال: إنها أول أغنية عن الثورة، وكان أيامها كل الفنانين خائفين من أن تتعرض حركة الضباط للفشل، فيصيبهم غضب من رجال الملك. لقد كانت مغامرة منا أن نغنى لثورة لم نكن نعرف مصيرها بعد أيام.

وسـاهم بنصيب هو الأوفر فى أغنيات الثورة، (احنا مابينا وبينك تار يا اسـتعمار خلى الثورة تولع نار) و(حى ع الفلاح) و (أمانة يانجم عالى) و(هم فتيان.. بعزم رجال.. يشـقوا الصخر.. والصوان).

ولما وقع العدوان الثلاثى على مصر بحث عنه شيخ الملحنين زكريا أحمد ليغنى لحنه (ياويـل عدو الدار.. من ثورة الأحرار) وغنى (الوطـن العربى) تنادى بمبادىء عبد الناصر ومناداته بالوحدة العربية ولما قامت الوحدة مع سـوريا، غنى واحدة من أشـهر الأغنيات

الوطنية كتبها بيرم التونسى ولحنها عبد العظيم عبد الحق وهى (وحده ما يغلبها غلاب) وكان جمال عبد الناصر يطلب منه أن يغنيها خاصة عندما كان يزور سوريا حيث يرقص عليها السوريون الدبكة.

وكانت أغنياته للوحدة العربية سببا فى أن يصبح مطربا مطلوبا للغناء فى معظم الدول العربية، فى سوريا، والجزائر. واليمن التى استحق من رئيسها وقتئذ عبد الله السلال جائزة. عبارة عن عزومة فى القصر الجمهورى. وقميص هدية له ولعازف الكمان الشهير أحمد الحفناوى.

أما آخر الأغنيات الوطنية التى سجلها للإذاعة قبل رحيله بأسابيع. فقد كان يحلم بأن يغنيها فى (الليلة المحمدية) على رغم أن هذه الليلة قد توقف تقديمها منذ سنوات. الأغنية كتبها المستشار نبيل الفكهانى. ويقول مطلعها: مدينة الإسراء.. وأرض الأنبياء.. تباركها صلاتنا.. وتحرسها السماء.. وبتدعى بالسلام. بحق كل شهيد ضحى بروحه عشانها.. وكل طفل وليد بيشب بين أحضانها. وأولى القبلتين.. وثالث الحرمين.. وبحق أبويا وأجدادى.. وولادى وولاد أولادى.. القدس حتفضل عربية.. القدس حتفضل عربية.

عشق محمد قنديل آلة العود. تفنن فى صناعتها. وأجاد العزف عليها. وكان فى شبابه يتدرب لمدة ثمانى ساعات متواصلة. ولحن لنفسه ٢٢ أغنية أشهرها (أبو سمرة السكرة) تأليف محمد حلاوة. وغالبا ما كان يستغل خبرته الطويلة فى الغناء فى تعديل بعض الجمل اللحنية التى كانت تقدم له قبل أن يتم تسجيلها.

إنها خبرة ٦٠ عاما فى الغناء. حفظ خلالها أغنيات الجيل الذى سبقه ومنهم محمد عبد الوهاب ومحمد القصبجى ورياض السنباطى وكان الأخيران يسمعانه ألحانهما له وللغير قبل أن ترى النور. كذلك كان يحفظ كل مايغنيه المطربون فى جيله خاصة كارم محمود وعبد الغنى السيد.

ويصور حالة الأغنية فى الفترة السابقة لرحيله. بأنها فى حالة يرثى لها. ويطالب بضرورة أن تكون هناك رقابة على الغناء حتى لاتترك الفرصة للبعض يسمم ذوق الشباب (الآن الناس تسمع الغناء وهم واقفون.. إحنا فى جراج؟!) وكان يبعد الشك عن نفسه ويقول إنه مطرب لكنه اعتاد أن يقول: الله! لمن يحسن الغناء من الشباب والكبار..

فعلا.. مطرب.. (وأتخن) مطرب فى البلد.

شقيق محمد قنديل كان بطلا فى رياضة الوزن الثقيل. وكان قنديل يهوى رياضة

المصارعة واللعب بالحديد لزوم العضلات. وكان جسمه ضخما.

وقد اعتاد أن يستخدم دراجة بخارية فى تنقلاته. وكان محمد عبد الوهاب ينصحه دائما بأن يتوقف عن ذلك حفاظا على حنجرته من لفحة البرد المحتملة.

ولما كانت الرياضة فى حياة قنديل سببا فى قوة صوته وقدراته من الأداء المتمكن وبدون مجهود، خاصة فى الألحان الشرقية التقليدية. من الأدوار والموشحات والمواويل التى أحبها كان يتمسك بأدائها قبل بداية أغانيه الشهيرة.

لكن (التخن) كان سببا لوصفه بشجرة الجميز التى ذكرها كامل الشناوى فى رده على قنديل عندما هاجم عبد الوهاب واتهمه بالسرقة الفنية.

ويبدو أن صحة قنديل فى شبابه وعلى مدى زمن طويل من عمره. قد جعلته مفتونا بقوته البدنية. جاهزا للخناق فى أى وقت. فلما كتب الشناوى جملته الاستفزازية. اتصل قنديل به فى مقر الجريدة التى كتب فيها وقال له: أنت موجود عندك.. طيب ماتنزلش أنا جايلك حالا عشان أوريك قيمتك!!.

كان قنديل قد قرر أن يضرب الشناوى كرد على جملته. وهو رد يعكس طبيعة محمد قنديل البسيطه بساطة أولاد البلد، وقال لى عن نفسه: أنا ابن بلد ماحبش الأونطة..

وقد تمحور المشوار الغنائى لمحمد قنديل حول محمد عبد الوهاب، إما مستغرقا بألحانه فى بداية المشوار، وإما باحثا عنها فى بداية الطريق وإما متألما لحرمانه منها بعد ذلك.

قال لى الموزع الموسيقى ميشيل المصرى تكلم مع عبد الوهاب عنى. وقال عبد الوهاب لميشيل: أنا نفسى ييجى يضرب الباب ويقولولى قنديل جاى جايبلك إن شاء الله طعمية!! ثم لحن له نشيد الفن عام ١٩٧٩ليغنيه مع ياسمين الخيام وهانى شاكر.

لكن قنديل لا ينسى أن عبد الوهاب أو عز للطويل بأن يعيد تسجيل (الغورية) بصوت عبد الحليم حافظ فى أسطوانة شركته مما تسبب فى الحرب والقطيعة بين قنديل والطويل وعبد الحليم أيضا..

يقول قنديل: عبد الحليم حافظ غنى ورائى مع الكورال فى فرح ابنة المطرب عبد الغنى السيد.

ويقول: محمد عبد الوهاب فنان طباخ ومش أونطجى، وعايز يسبق الزمن ويتخطى زملاءه.

لكنــه أحب الشــاعر محمد على أحمد الــذى كتب له (الغورية) و (بين شــطين وميه) وأغانى ناجحة كثيرة. يقول: لاأنســى لمحمــد وكان ضابط بوليس، أنه عندما كنت أتعلم قيادة السيارات، وعملت حادث بالسيارة، فتركتها وجريت لألحق بموعد غنائى فى ركن الإذاعة. ولما خرجت قبضوا علَى.. وفى القســم قلــت للضابط أنا قريب محمد على أحمد فأفرج عنى.

ويقال له – والله أعلم – أن محمد قنديل كان كمعظم الفنانين بخيلا ومن التشنيعات التى سمعتها عنه: أن خَلَف جرســون بوفيه معهد الموســيقى العربية الشهير. نزل الشاى لكل الزبائن الموجودة. فقال له أحدهم إيه الســبب؟ فقال أخيرا حصلت على شــلن من الأستاذ قنديل!!

لكــن والحق يقال.. فقــد أهدانى آلة عود ممتازة الصنع جيــدة الخامات وألح علىَّ فى قبولها.

كذلــك فإن علاقتــه بزوجته تدحض اتهامه بالبخل. فقد أحــب قنديل فتاته وتزوجها واعتزلت العمل وتفرغت لحياتها الزوجية ولم ينجبا. ووقفت وراءه تشــجعه وليتذوق طعم السعادة والاطمئنان، كانت تدفعه للعمل بقوة وتقول: خليك ثابت.. اشتغل كمان..

بنــى منزلا فى حى مصر الجديدة بالقرب من فيللا صديقه المطرب الراحل كارم محمود ووزع شققها بين أقاربها وأقاربه ولما ماتت تولى أقاربها بالرعاية. وأصيب بمرض السكر من الحزن عليها وظل وفيا لسيرتها إلى أن مات.. فلم يكن بخيلا إذن..

وقد استحق هذا الفنان الكبير من مصر تكريما خاصا جدا.

اتصــل بى محمد قنديل وهو مفزوع. فقد أعلمه الطبيب بضرورة حاجته إلى تغيير ثلاثة شرايين فى قلبه، على أن يتم ذلك فى مستشفى فى إحدى الدول المتقدمة.

نشــرت الخبر فى مجلــة أكتوبر وفى نهايته رجاء من الدكتــور كمال الجنزورى رئيس الوزراء أيامها: أن يضع قلب المطرب الكبير تحت رعايته.

فى الساعة الواحدة ظهر يوم السبت وهو يوم صدور المجلة الذى نشرت الخبر والرجاء جاء فى صوت قنديل على التليفون متهدجا متأثرا.

ماذا حدث؟ قال: اتصل بى مســئول كبير من مجلس الوزراء وأبلغنى أن الرئيس محمد حسنى مبارك قرأ الخبر. فاتصل بالدكتور الجنزورى يطلب منه سرعة عمل اللازم لعلاجى

فى مستشفى كليفلاند بالولايات المتحدة الأمريكية.

قلت ألف مبروك! لكن ماهى الطريقة التى تقدم بها الشكر للرئيس؟... قال: أنت تعرف أننى لا أجيد التكلم. لكننى قررت أن أغنى هذا الشكر للرئيس بعد أن يمن الله علىّ بالشفاء. قلت: وما هى الأغنية؟ قال: إلى أن أعود من كليفلاند. اختر أنت الكلمات وأعد اللحن. قلت: إذن فلنفتح الفرصة أمام محبيك من شباب الشعراء. ومن أعضاء البرنامج الإذاعى نادى المواهب الشابة.. قال.. فلتفعل ذلك..

وأعلنا المسابقة بين الشعراء الشباب.. وهطلت علينا أشعارهم وعاد محمد قنديل من كليفلاند ليجد فى انتظاره ديوانا مطبوعا تحت عنوان (شكرا سيادة الرئيس) ليختار من بين ضفتيه ما يحلو له غناءه وهذه مقاطع من الديوان:

عارفك رقيق وعطوف بالحسنى تتعامل

وأنا م الجميل مكسوف

□□□

شكرا يابن النيل

جيت أشكرك وأقول لكن الكلام خانى
ناديت على الأرغول وقلت أنا أغنى
أغنى ليك على طول شكرا يابن النيل

□□□

أول كلامنا بسم الله كلمة حق كلام الله
ريسنا المصرى كالعادة حس فى قلبى بقول آه

□□□

شكرا ليك يا سيادة الريس مصر فى خيرك وأنت فى خيرها
شلت همومك شلت همومى شلت هموم الدنيا بحالها
ابن النيل و الأصل فى طبعك بتحب الناس والكل يحبك
لما سافرت حملت جميلك وحلفت بربى لأغنيلك
وأكون لك فى بلدنا دليلك على صدقك يا أبو قلب ودود

شكرا ياريس يا أبو الجود

مؤمـــن يـــا ربنا وآمين على كل شهر وكل حال
بالمسئوليـــة فـــى اليميـن والإنسانية فـــى الشمـــال
مانسيتش من بين كـل ده تسمع لقلبـى إمـــا نده
م القلـــب لبيت النـــدا بالحـب كـان لازم يطيب
شـــكرا إخلاصـك لبلـدك شكرا إحساسك بولـدك
قلـــت مـرة بيـن كلامـك ابن بلـدك.. اهتمامـك
وأمـا جـه فـى يـوم أمامك لقينـاك وفـيت بوعـدك
لـــــا نقـــــول الآه نلقـــاك معانـــا تعيـش
فـارد إيديـــك البيـــض عمرك مـــا قلت مافيـش
فـــى الروحـــة والجايـــة دايما علينـــا تطـــل
شكرا يـــا ســـيد الكـــل شكرا يا عـــود الفـــل
عشـــان الفـــن رســـالة وأساس الحكـم عـدالـة
بتحيـى قيـم وأصـالـة وقلوب مليانـــة وفـــاء

شكرا ســـيادة الريس

شكرًا عـــلى كـل رعاية لـمـــواطـــن أو فنـــان
بيقـــول مـن قلبه معايا تحيـا حقـوق الإنســـان
ويعيـــش من لـبى ندايا من قبـــل مايبقى نـــداء
باسـم الفـن أنت نصفته لـمـا داويت قلـب الفنـان
لـمـا عرفت بجرحه ندهته صبح الجـرح كأنـه ما كان
كتر خيرك دنا من خيرك صحصح قلبى بعـــدها أن

واختار قنديل الكلمات. حفظ اللحن. وانتظر فرصة الحفل الذى يشارك فيه أمام الرئيس ليحيه بأغنيته لهذا التكريم الخاص جدا من الرئيس له. لكن لا الظروف الصحية سمحت له.. ولا القدر أمهله.. ومات فى ٨يونيو ٢٠٠٤ برحمة الله.